شـــرح

كشف الشبهات

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

ت ١٢٠٦ رحمه الله رحمة واسعة

شرح فضيلة الشيخ

محمد ابن عبد الله المالكي

قَالَ المُصنِف رَحِمَهُ اللهُ:

وَإِلَّا فهؤلاء الـمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رسُولُ اللهِ ﷺ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ لا يَرْزُقُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُحْيِي وَلَا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ.

قال الشارح وفقه الله:

يقول **شَيْخ الإِسْلَام** محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (**وَإِلَّا فهؤلاء**) يعني هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من المشركين، اتخذوا مع الله آلهةً أخرى ودعوها وسألوها، هؤلاء المشركون الذين قاتلهم رسول الله ﷺ (**يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخَالِقُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**)، وهذا بشهادة القرآن كما قال رب العزة والجلال في آيات متعددة في مثل قوله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٩] .

وكذلك هم مُقرون بأنه لا يرزق ولا يُحيي ولا يُميت إلا الله، والله ﷻ قد شهد لهم بذلك، كما قال ﷻ: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ**﴾ [يونس:٣١] . الله ﷻ شهد بأنهم مُقرون، سيقولون: إنما يفعل ذلك الله وحده لا أحد غيره، وكذلك فهو الذي يُدبر الأمر، ومعنى هذا: أن هذه المعبودات التي يعبدونها لا تملك شيئًا ولا تتصرف في شيء، ولو كابر بعضهم وقال: بأنها تملك، فيُقال له: كيف الذي يملك يكون مملوكًا، ومعلوم أن المملوك الرقيق مهما امتلك من متاع الدنيا فهو لا يملك يعود ملكه لسيده، لو أن رجلًا عنده عبدًا مملوكًا اشتراه، ثم إن هذا العبد المملوك صنع شيئًا أو اكتسب مالًا، فإن هذا المال وهذا الشيء الذي صنعه هذا المال الذي اكتسبه، وهذا الشيء الذي صنعه هو مُلك سيده تبعًا لملك العبد مُلك السيد للعبد، فلا يوجد أحد يملك حقيقةً المُلك الحقيقي هو لله ﷻ، وكذلك لا يتصرفون ولا يُدبرون، وإلا إذا قالوا: أنهم هم أنفسهم، إذًا من الذي يُمرضهم، ومن

الذي يُحزنهم ومن الذي يُميتهم، وإذا قالوا: الطبيعة، إذًا ما الذي جعل البراكين والزلازل والأعاصير وكسوف الشمس وكسوف القمر، وما شابه ذلك، وامتناع المطر، من الذي جعل هذا، هل هي بنفسها، لا يُمكن، إذًا لابد أن يكون وراء هذا الكون خالقٌ عظيم، فيُدبر الأمر أولئك الكفار لأنهم عُقلاء اعترفوا بأنه هو الله وحده الذي يفعل هذا، لكن مالوا مع حظوظ أنفسهم، وأرادوا أن يجعلوا مع الله آلهةً أخرى، وإلا هم في أنفسهم مُقرون، كما أن فرعون الذي ادَّعى وزعم أنه هو الإله، إنما كان ميلًا للهوى، وإلا هو يعلم الحقيقة وهي أنه مخلوقٌ مملوكٌ لله ﷻ كما قال الله ﷻ في آية سورة النمل عن فرعون لما ساق الآيات المُناظرة بين موسى وفرعون، قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٣-١٤] ، فرعون ومن معه جحدوا بها أنكروها، (﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾) يعني داخل قلوبهم وداخل نفوسهم هم متيقنون أن ما دعا موسى إليه هو الحق، وأن ما دعا فرعون إليه هو الباطل، لكن جحدوا بها ظُلمًا، والشرك هو أعظم الظلم، كما قال الله ﷻ عن لقمان وهو يعظ ابنه قال: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]. وعلوًا يعني استكبار كِبر، إذًا الله ﷻ بين أن هؤلاء المشركون الذين قاتلهم مع اعترافهم بأعمال الربوبية أنها ليست إلا لله مع هذا الاعتراف إلا أنه قاتلهم، فكيف بأولئك الذين يزعمون أنهم موحدون لله مؤمنون بالله مؤمنون برسول الله، لكنهم يزعمون أن غير الله يصنع ما يصنعه الله من الخلق والرزق والإيجاد والإحياء، والإماتة، وما شابه ذلك كما يزعم غلاة المتصوفة والرافضة، وأضرابهم يصفون أولياءهم آلهتهم التي يعبدونها من دون الله يصفونهم بهذه الأوصاف أن هذا الميت في قبره يشفي من المرض، ويُذهب الحزن ويجلب الولد، ويدفع الضر، هكذا يعتقدون، إذًا هم أسوأ من أولئك الذين قاتلهم النبي ﷺ.

قال: (﴿وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾)، الملائكة كما وصفهم الله ﷻ غلاظٌ شداد غلاظٌ عظيمة أقدامهم، شدادٌ يعني في قوتهم.

(﴿وَالأَرَضِينَ السَّبْعِ﴾)، من على الأرض ومن في باطن الأرضين السبع، (﴿كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ﴾) بمعنى يعني

مملوكون مُلكًا تامًا لله، وتحت تصرفه لأنهم مملوكون مُلكًا تامًا الإنسان قد يملك دابته قد يملك دارًا، قد يملك عبدًا، لكن الملك ليس تامًا، وإنما هو مُلكٌ مؤقَّت ملكٌ نسبي.

قال: (**وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ**)، والمقصود أنه سبحانه وتعالى يقهرهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨]. يقهرهم يُمرض من شاء، ويُفقر من شاء، ويُميت من شاء، ويفعل ما يشاء سبحانه وتعالى، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

قَالَ المُصنِف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْهَدُونَ بِهَذَا فَاقْرَأْ عَلَيْهِ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:٣١] الآية، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]. وغير ذلك من الآيات.

قال الشارح وفقه الله:

كما قال رحمه الله تعالى مُبينًا الأدلة على ما تقدم: أن الله وحده هو الذي يُحيي ويميت ويرزق ويُدبر، وأن كفار قريش والكفار في زمانهم كانوا يؤمنون بأن هذه الأمور ليست إلا إلى الله.

واستدل بآية سورة يونس بقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سبأ:٢٤]، هؤلاء اليوم الذين يذهبون إلى الأولياء في قبورهم يعتقدون أن هذا الولي الميت في قبره يرزق، ولذلك هم يسألونه الرزق، ويشكون إليه ضيق الحال.. وكذا يُريدون منه التوسعة.

لذلك هم أسوأ من مشركي قريش ومن كان في زمانهم، لذلك قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [سبأ:٢٤]، وقد بين الله ﷻ في آيات عديدة أن الرزق هو من عند الله كما قال في سورة الملك: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

والآيات في هذا كثيرة أن الله ﷻ هو الذي يرزق، وكذلك في قوله: (أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ)، من يملك السمع فيسلبه منك أو يضعفه عنك، وكذلك الأبصار إلا الله ﷻ هو الذي يملكها، فإما يقبضها ويدعك محرومًا منها، وإما يُمتعك بها، ويمدها بالقوة، هذا كله إلى الله ليس إلى أحد.

قال: (﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾) هذه كلها شواهد، كإخراج أنواع النباتات من الحب، الحب لا تنبت حتى تضعها في التربة وتسقيها الماء، فيأمرها الله ﷻ أن تنبت، لذلك قال في الواقعة: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۞ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة:٦٣-٦٤] ، إذًا عملُنا نحن الحراثة وهي تقليب التربة ثم وضع البذور، ثم سقيها، أما إنبات البذور هذه إلى الله، هذه الزراعة، المزارع يذر البذور في التربة ولا يدري أيًا من هذه البذور ستنتج وتنبت، وكذلك إخراج النخل من النوى من نوى التمر، وهو حجر نوى التمر كالحجر، ومع ذلك يشق الله ﷻ من جوفه فسيلًا فيكبر فيكون نخلةً قد تُثمر، من يفعل هذا إلا الله، وكذلك قال بعض أهل العلم: إخراج الطائر من البيضة، الطائر حي البيضة ميتة لا حياة فيها، لكن يُخرج الله ﷻ من جوفها طيرًا، والعكس ويُخرج الميت من الحي يعني يُخرج البيضة من الدجاجة، فالدجاجة حية ويخرج منها البيضة وهي ميتة، ثم تفقس البيضة وهي ميتة ويخرج منها الطائر وهو حي.. وهكذا الحبوب والنوى، نوى التمر تخرج منها شجرة النخلة، ثم إذا كبُرت النخلة أنتجت ثمارًا في كل تمرة نوى، إذًا أخرجت النخلة من النوى وأخرج من النخلة نوى، فهذا إخراج الميت من الحي، وإخراج الحي من الميت، يقول الله ﷻ: (﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾) يعني أمره كله أمر السماوات وأمر الأرض، من يدبر أمر السماوات وأمر الأرض إلا الله بيده مقاليد السماوات والأرض سبحانه وتعالى، يُدبر العالم العلوي والعالم السُّفلي، وهذا يشتمل على جميع أنواع التدابير الإلهية من رزقهم من حياتهم من كل شيء.

ثم قال: فإذا سألتهم عن هذا سيكون الجواب قال: (﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾)، لأنهم معترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له من هذه المذكورات، لا أحد يخلق ولا أحد يرزق، لكنهم كابروا اتباعًا للهوى كما قال قائلهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥]، وكما قال قوم نوح لبعضهم: ﴿وَقَالُوا لا

تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح:٢٣].

قال عندما يقولون: لك أنه الله، (﴿فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾)؛ أي: فقُل لهم يا محمد إلزامًا بالحجة: (﴿فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾) الله، وتخافونه، وتعبدونه وحده وتخلصون له، وتتركون عبادة ما سواه من الأوثان.

ثم انتقل إلى الآية الثانية وهي في معرض بيان حقيقة ما كان عليه كفار قريش وهم مشركون، وحقيقة ما عليه كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم وهم يُشركون -عياذًا بالله-.

قال سبحانه وتعالى: (﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) إذا كان عندكم علم فأخبرونا لمن من هو مالك الأرض، لو كان أحد من البشر هو مالكُها، إذًا كيف تنتقل إلى غيره، وكيف يتصرف فيها الغير، وكيف يجري فيها ما لا يُريده من جدبٍ ومن براكين وزلازل وفيضانات.. وغير ذلك، كيف يجري ذلك إن كان هو مالكها.

قال: (﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]). إذًا هم مُقرون أنه كله لله، ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩])، إذًا لمن الأرض ومن فيها؟ هم أقروا بأنها لله يعني هو خالقها وهو مالكها وهو المُتصرف بها.

ثم قال: (﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾)؛ أي: ألا ترجعون إلى أنفسكم وإلى عقولكم فتفكروا، وتتذكرون ما ذكركم الله به في كتابه مما هو معلوم ومُستقر عندكم.

ثم قال: (﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾) يعني من رب السماوات السبع ومن فيها كما في الآية السابقة من سورة يونس، (﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾) إذًا هم مقرون أنها لله، (﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾) يعني أفلا تجعلون عبادتكم خالصة لله باتقاء عذابه.

وكذلك قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾)؛ أي: المُلك التام للعالمين العلوي والسفلي مما نُبصره ومما لا نُبصره، والملكوت هي صياغة مبالغة للمُلك، (﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ ﴾)؛ أي: من بيده المُلك، (﴿ وَهُوَ يُجِيرُ﴾) يعني يدفع الشَّر والمكروه عن العباد، (﴿وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾)، لا أحد يقدر

أن يوصل إليه الشّر أو الأذى حتى يكون هناك من يقدر أن يدفع لا هذا يقدر ولا هذا يقدر، لا أحد يقدر أن يُلحق الأذى بالله، ولا أحد يقدر أن يُجير الله والله ﷻ له القوة المُطلقة، وله المُلك التام، وهو سبحانه وتعالى الكبير المُتعال، وهو القاهر والقهَّار، فلا يقدر أحدٌ على شيء، بل ولا يشفع عنده أحد أصلًا إلا بإذنه كما في آية الكرسي.

قال: (﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾)؛ أي: يُقرون بأن كل ذلك إنما هو مُلكٌ لله جل في علاه، وخالقه وهو المُتصرف فيه.

ثم قال: (قُلْ) أي يا محمد إذا أقروا بذلك (﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾) يعني من أين جاءكم السحر الذي ذهب بعقولكم حتى صِرتم تعبدون هذه الأشياء الأوثان، تعبدون هذه الأوثان والأصنام، فإن الأوثان كلما عُبد من دون الله سواءً كان له صورة أو لم يكن له صورة، بينما الأصنام ما عُبد من دون الله وكان له صورة، (﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾) يعني أنتم تدَّعون أن هذا سحر، من أين جاء السحر، وكيف جاء السحر؟ إذًا هي كلها دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة.

ولعلنا نكتفي بهذا القدر.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.